اتحاد كتاب المغرب :
استقلال وهمي أم استقلال فعلي

ارشاد حسن

عاد اتحاد كتاب المغرب من دمشق حائزا كما يبدو على « نصر » ثقافي لا يستهان به . وسواء تعلق الامر بالدور الذي قام به الوفد المغربي اثناء مؤتمر اتحاد الادباء العرب ، او بالوضع العام الذي كان عليه المؤتمر من حيث الاعداد والتمثيل والمقررات ، فان الامر المؤكد الذي توضح للجميع هو ان استقلالية الاتحاد ، بالاقل عن التوجيه الرسمي ، كما هو المشهور ، تعززت بدرجة ، يجب ان نعتبرها هذه المرة من ثمرات النشاط الدؤوب الذي قام به الاتحاد بعد مؤتمره السادس . بما في ذلك حرصه المستمر على تمييز مواقفه واعلان توجيهه الديمقراطي التقدمي ، وبالخصوص فيما يتعلق بشؤون المثقفين في البلاد وتطلعاتهم العامة او الخاصة ، لا يهم .

وقد لاحظنا كيف انبرى غالبي شكري للاشادة بهذه الاستقلالية وكيف عبرت صحيفة « تشرين » السورية عن تقديرها للمساهمة المتميزة التي مثل بها الوفد « موقف » الاتحاد . وكل هذا بطبيعة الحال يساهم بصورة طبيعية في تعضيد ما مثله الاتحاد في سنواته العشر الاخيرة من دور نضالي هام (ولو انه محدود وثقافي الى ذلك) . بل ويعطي لوجوده الثقافي في المغرب وفي العالم العربي حضورا مؤثرا .

غير ان الامر الذي يستحق التناول المباشر في تقديرنا ليس هو الاستقلالية في حد ذاتها كما نوه بها اخواننا المشارقة على العموم او كما هي في الواقع دالة على الاتحاد ومميزة لوضعه ودوره ، فهذه قضية لم تعد تحتاج الى تثمين ، ودورها ـ على كل حال ـ كاختيار ديمقراطي لعموم المثقفين المنتمين للاتحاد ، لم يعد يقبل الجدال في فعاليته وتاثيره (المحدود بطبعه) ، بل ، ما يهم ، هو كيف يستطيع الاتحاد ، من هذا الموقع بالذات ، ان يطور عمله الاستقلالي ويضمن له توجيها ديمقراطيا تقدميا مبنيا عليه . وبعبارة مختصرة : هل يستطيع الاتحاد ضمان هذا الاستقلال كمكسب واختيار ؟؟

ان المسالة دقيقة على هذا الاساس ، وهي تتضمن اشارة مفهومة الى الاختيارات الثقافية التي يعلنها الاتحاد والى دوره في ترجمة هذه الاختيارات على صعيد الصراع الثقافي العام في البلاد . كما انها تتضمن اشارة ضمنية الى دور المثقفين وحدود مساهمتهم على هذا المستوى وذاك .

ويمكن القول باختصار ان تجربة اتحاد كتاب المغرب ، خصوصا بعد مؤتمره الرابع (23 فبراير 1973) كانت فاصلة بجميع المقاييس في تحديد استقلاليته ، وربما كان الاختبار العسير الذي مر به الاتحاد في تلك التجربة هو قدرته (بما تعني هذه القدرة من وجود تيارات فكرية لها امتدادات حزبية معلومة تتصارع في اطاره على التوجيه والقيادة) على توفير الحد الادنى لموقفه الديمقراطي التقدمي في مواجهة التخطيط الرجعي المكشوف الذي قامت به عناصر تنتمي بالولاء للسياسة الرسمية بقيادة الاستاذ المرحوم عبد القادر الصحراوي آنذاك من أجل تحويل الاتحاد عن اهدافه ، وربما من اجل ادماجه في التوجيه الرسمي واستغلاله كاطار ثقافي منظم لاغراض لا علاقة لها بقضايا الثقافة والمثقفين .

وقد ظهر الحد الادنى المذكور اعلاه وقتها في شكلين :

الشكل الاول ، وتمثل في التحالف السياسي الذي عقده التيار الوطني الديمقراطي العريض ، لمواجهة التكتل الرجعي المدعوم بالتوجيه الرسمي وقد قام المرحوم علال الفاسي ـ كما ظهر للجميع وقتها ـ بدور نشيط في دعم هذا التحالف ، رغم أن فريقه وقتذاك كان متحمسا بصورة قوية لانتزاع قيادة الاتحاد مرة أخرى والتخلص او الحد من قدرة العناصر التقدمية على فرض اختياراتها عليه .

اما الشكل الثاني ، فقد ظهر في مقررات المؤتمر نفسها ، وفي المواقف التي اعلنها من مختلف القضايا التي يبحثها المثقفون في حينه ، دون ان تجد هذه المواقف وتلك القرارات طريقا الى النشر ومجالا للتعريف ، وربما كان ذلك من المفارقات الغريبة التي طبعت الحد الادنى وقتئذ ، مع الاقرار بان التواطؤ الذي تم على هذا الصعيد هو ايضا من نتائج المواقف المتقدمة التي جاءت في المقررات ، ومن تعارضها بصورة واضحة مع بعض الاختيارات الحزبية الضيقة .

غير انه قد يكون من غير المفهوم لماذا جاء الحد الادنى على هذا النحو اذا لم نذكر بان التطورات السياسية نفسها في ذلك الوقت من بداية سنة 1973 كانت متوترة ومتلاحقة في الداخل والخارج على حد سواء ، بحيث عززت الميل الديمقراطي لدى المثقفين بوجوب اتخاذ مواقف متقدمة من قضايا الصراع والتناقض الماثلة امامهم بحدة وعنف وطنيا وعربيا ودوليا في آن ، دون ان يخلو الامر من مساومات وتنازلات واخذ ورد ايضا .

ولهذا الامر بدا ان الحملة التي اعلنها ممثلو الثقافة الرسمية على صفحات جريدة (الانباء) والبعض الآخر على صفحات جريدة (المغرب العربي) من اجل شق الاتحاد واستعداء السلطة ضد المثقفين التقدميين باسلوب غاية في الاسفاف والتهور (لم ينج منه عبد الكريم غلاب نفسه بحيث اتهمه عبد القادر الادريسي بالتساهل مع « اليساريين ») ، لا تخرج في دعاويها التحريضية عن طبيعة التطورات السياسية نفسها التي جنحت بصورة مؤكدة في ذلك الوقت الى قمع كل ممارسة ديمقراطية متحررة .

الا ان الحقيقة التي يجب ان نذكرها بهذا الصدد ، هي ان مضمون الحد الادنى الذي خرج به المؤتمر ووطد به استقلاليته ، لم يكن في مستوى التطورات السياسية التي اشرنا اليها ، ولم يحمل في ذاته وعيا متقدما بضرورة مواجهتها مواجهة ثقافية فعلية ، وقد يكون الامر عائدا بالدرجة الاولى الى طبيعة التناقضات الكامنة في صلب وفي بنية التيارات الثقافية والفكرية التي ارتضته عن قناعة مبدئية او عن تاكتيك سياسي من املاء موازين القوى داخل المؤتمر ، وهذا صحيح وفي محله ، الا انه يعود ايضا وبدرجة لا يمكن التقليل من شانها باي حال الى « الاختيارات » الثقافية التي مثلتها القوى المشاركة في المؤتمر عن طريق الاتحاد ، وقد بقيت هذه (الاختيارات) حبيسة لتصورها الحزبي الضيق لشروط العمل الثقافي في اطار الاتحاد وبين المثقفين ، جاعلة من الثقافة ، وهذا جانب اول ، ملحقا ذيليا لتوجهها السياسي الايديولوجي الموقع بمصالحها الطبقية ، فلا تعيرها اي اهتمام يليق بها كحقل ومجال للتاثير والتوجيه . ومرافقته في نفس الوقت لضرورة العمل الديمقراطي على الواجهة الثقافية في صيغة جبهوية عريضة تستوعب في اطار اختيارات ديمقراطية تقدمية ، متوازنة ومضبوطة ، كافة المثقفين الطامحين الى بناء ثقافة ديمقراطية تستجيب لطموحات الجماهير الشعبية في هذا المجال الهام .

ان القضية اذا شئنا التحديد كانت على علاقة وثيقة بمستوى الوعي وبنوعية المصالح السياسية ، وقد ابانت تطورات الاحداث والمواقف بعد 1973 ان بعض القوى الوطنية كانت ترفض ذلك للاعتبارات المذكورة ، في حين كانت تمهد الطريق بذلك ايضا لعقد تحالفات اوسع واشمل على مستويات اخرى .

وقد لا يكون في الامر من جديد حين نجزم بان الفريق التقدمي في الاتحاد، اصبح منذ ذلك الوقت هو صاحب القرار والمبادرة ، وعلى يده تمت معظم الخطوات التي اقدم عليها الاتحاد في علاقاته الداخلية والخارجية وفي اسلوب نشاطه الفكري ودوره الثقافي في البلاد .

والحاصل ان تركيزنا على الظروف العامة التي احاطت بالمؤتمر الرابع، وتشديدنا على بعض الاوضاع التي تمت فيه هو بقصد الوصول الى خلاصتين ، نجملهما على النحو الآتي :

1 ـ ان استقلالية الاتحاد ، فوق انها مكسب تاريخي قائم ، هي من حاصل نشاط المثقفين التقدميين في صفوفه ومن خوضهم الثقافي المعارض للهيمنة والتبعية ، وبالخصوص للتوجيه الرسمي الذي هو في حقيقة الامر توجيه الفكر البورجوازي الرجعي ، الامر الذي لا يعني على اي نحو ان الاتحاد في اطار استقلاليته لا يتبنى اي توجيه . فقد تكون هذه اغلوطة لا تستحق التفنيد . ولذلك يجب ان نأخذ استقلاليته في حدودها النسبية جدا . فمن المعروف ان التيارات التي تعاقبت على توجيه الاتحاد وتحكمت لسنوات طويلة في قيادته لم تكن منفصلة عن التوجيه الحزبي الذي كان يعضدها في نشاطها العام . غير انه من الحق ان نقول بوجود صيغة ديمقراطية غير مكتوبة وكانت هي الحد الادنى للعمل المشترك مع ذلك .

2 ـ ان استقلالية الاتحاد ، لم يتجاوز بعد مستواها العقدي . فهي بالاساس استقلالية لا تحكمها اية صيغة ملموسة للعمل الثقافي المتميز والمضبوط . ولا تقوم بالخصوص على اي برنامج ثقافي يسندها كاختيار .

ومن نافلة القول ، بناء عليه ، ان استمرار هذا الوضع ، سيجعل الاتحاد في المستقبل ، القريب او البعيد ، منظمة غير قادرة على حماية وجودها المستقل، اذا لم تعمل بارادة جميع المثقفين المنضويين تحت لوائها على فرز هويتها المستقلة وفق برنامج مرحلي للثقافة والنشاط الثقافي يكون مبنيا على معطيات الصراع على هذه الواجهة والظروف العامة التي تفعل فعلها القوي فيها . ولا مراء في ان المرحلة الراهنة من تطور اوضاع البلاد تتطلب هذا البرنامج المرحلي وتزكيه بالفعل ، ان على اتحاد كتاب المغرب بعبارة اخرى ان يحدد موقفه الدقيق من خصوصية التناقض الذي يتعلق به كجمعية ثقافية وللمثقفين ، اي بين وجوده التاريخي ـ المرحلي المستقل ويبين خطر الانزلاق بهذا الاستقلال الى تبعية مكشوفة او مقنعة تقضي على سمعته ودوره وديمقراطيته معا .

والواقع انه بعد سبع سنوات من وجود اتحاد كتاب المغرب على هذا النحو المتناقض ـ اذا كان قد وعاه ـ لم يعد من المقبول بالنسبة للمثقفين التقدميين المغاربة ، الحديث عن اي نوع من الاستقلالية كما يفعل اخواننا المشارقة عن جهل بالاوضاع (مع افتراض حسن النية) ، ناهيك عن استقلالية فعلية مضمونة ، الى ان يتفطنوا لخصوصية الوضع الذي تجتازه جمعيتهم ويقبلوا على تدارس الاوضاع بروح جماعية بناءة تتوخى ابراز دور الاتحاد كمنظمة ثقافية ديمقراطية مستقلة ذات توجيه تقدمي يخدم في مجاله مطامح

التحرر الثقافي والفكري من خلال برنامج يدرك الابعاد الحقيقية للنضال الديمقراطي بجانب الجماهير الكادحة باصرار للتخلص من هيمنة الفكر البورجوازي والامبريالي على السواء .

فهل يدرك الاتحاد قبل مؤتمره السابع اشكالية وجوده الخاص ويتجنب الاغترار عن وعي بالاحاديث المسئولة عن استقلالية قد تصبح وهمية يوما ما ؟؟ وهل يتمكن الاتحاد من تحويل استقلاليته المنتصرة موحليا في دمشق ، الى انتصار استقلالي في المغرب ؟؟

ارشاد حسن
6 يناير 1980

(مواقف)

للحرية ، والابداع ، والتغيير

المدير المسؤول : **علي اسبر**

المراسلات : «مواقف» ـ ص. ب. 8358 ـ 11 ـ بيروت ـ لبنان

دراسات عربية

مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية

تصدر شهريا عن دار الطليعة
بيروت ـ ص. ب. 11813

المدير المسؤول : **جوزيف صفير**
مدير الادارة : **عبد الحميد ناصر**

الادارة : شارع المصيطبة ـ محطة يزبك ـ بناية البستان
بيروت ـ لبنان

ثمن العدد بالمغرب : 8 دراهم